مفهوم السعادة عند فلاسفة اليونان في العصر الهللينستي وأثره في إخوان الصفا

(نماذج ممثلة)

إعداد

د/ هالة محجوب خضر

مدرس علم الجمال

كلية الآداب

جامعة كفر الشيخ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقدمة:-

موضوع السعادة من الموضوعات الهامة التي نالت اهتمام الفلاسفة منذ قديم الزمان فقد تناولها فلاسفة اليونان والرومان وفلاسفة العصور الوسيط من المسلمين والمسيحيين مما يضفى على هذا المفهوم صبغة فلسفية وقيمة معرفية

فإذا ما بدأنا بالعصر الهللينستي وهو العصر الذي يبدأ بموت أرسطو (٣٢٢ ق.م ويستمر حتى عام ٣١م)، فإننا سنجد تحولاً كبيراً في التوجه الفلسفي لدى فلاسفة هذا العصر؛ وذلك لأنهم تطرقوا إلي الجوانب العلمية التطبيقية وخاصة في مجال الأخلاق فاتجهوا مباشرة إلي بيان الطريق العلمي للسعادة . وأكبر مدرستان تمثلان هذا العصر هما المدرسة الأبيقورية والمدرسة الرواقية، وسنتناولهما بوصفهما مثالين لهذا العصر.

أما فلاسفة الإسلام فإن أغلبهم قد تأثر بالتراث الفلسفي اليوناني وخاصة في تناولهم لموضوع السعادة وقد ربطوا بين التراث الفلسفي اليوناني وبين التراث الدينى الإسلامي، ولهذا يعد موضوع السعادة في التراث الفلسفي العربي أحد أهم الموضوعات الفلسفية، وستتناول فيه الباحثة آراء إخوان الصفا بوصفها نموذجاً فلسفياً مستعينة في ذلك بآرائهم في السعادة والتي وردت في رسائلهم في إطار نظري متكامل.

وقبل الحديث عن هذه المذاهب الفلسفية، وعن معالجتها لفكرة السعادة ينبغي الإشارة إلي أمرين علي درجة كبيرة من الأهمية، وهما إشكالية الدراسة والمنهج المتبع فيها.

أولاً: إشكالية الدراسة

تكمن إشكالية هذه الدراسة فى محاولة التعرف على مدى اختلاف التصور الاسلامى لمفهوم السعادة عن التصور اليوناني القديم , وذلك من خلال التساؤلات التالية : -

١- ما السعادة؟ هل يمكن تحقيقها؟ هل طلب السعادة غاية عند كل الناس؟ ولماذا؟
٢- هل تطلب السعادة من أجل ذاتها أم من أجل أشياء أخرى؟
٣- هل توجد علاقة بين السعادة واللذة والفضيلة عند أبيقور؟
٤- لماذا ربط الرواقيون بين السعادة والفضيلة؟
٥- هل للسعادة واجب نحو الذات أم نحو الغير أم هما معا؟ وهل كل الذات تحقق السعادة ؟
٦- كيف تأثر إخوان الصفا بالفلسفة اليونانية؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٧- كيف ربط إخوان الصفا بين السعادة واللذة فى إطار الفكر الإسلامي؟

أما عن المنهج المتبع في هذه الدراسة فقد استخدمت الباحثة عدة مناهج أهمها المنهج التاريخي والتحليلي والمنهج المقارن ولاشك أنها تستقيم مع موضوع البحث، حيث قامت الباحثة بتتبع تطور آراء الفلاسفة المختلفة من الناحية التاريخية، ومقارنة وتحليل مفاهيم ونماذج وآراء مختلفة عند كلٍ من المدرسة الأبيقورية والمدرسة الرواقية وإخوان الصفا.

وتتألف هذه الدراسة من مقدمة ومدخل وثلاثة مباحث وخاتمة. أما المقدمة، فقد قامت فيها الباحثة بالتعريف بالدراسة وتوضيح أهميتها والإشارة إلى المنهج المستخدم في إعدادها ، كما طرحت فيها بعض التساؤلات الموجهة للدراسة.

وأما المدخل وعنوانه "مفهوم السعادة وشروط تحقيقها "، وقد تناولت الباحثة فيه بالدراسة الموضوعات التالية:-

(أ) المعنى اللغوي للسعادة .
(ب) المعنى الاصطلاحي للسعادة .
(ج) تعريف السعادة في القرآن الكريم.
(د) شروط تحقيق السعادة .

أما المبحث الأول فعنوانه "نظرية السعادة في الفلسفة الأبيقورية" وقد تناولت الباحثة فيه:-

(أ) مفهوم اللذة عند أبيقور وارتباطها بالسعادة .
(ب) ارتباط الفضيلة بالسعادة عند أبيقور .

أما المبحث الثاني فعنوانه "نظرية السعادة في الفلسفة الرواقية" وتناولت الباحثة فيه الموضوعات التالية:-

(أ) فلسفة الرواقيين الأخلاقية.
(ب) مفهوم السعادة عند الرواقيين .

أما المبحث الثالث فعنوانه "مفهوم السعادة عند إخوان الصفا" وقد تناولت الباحثة فيه بالدراسة الموضوعات التالية:-

(أ) أقسام السعادة ودرجتها عند إخوان الصفا.
(ب) ماهية اللذة وصلتها بالسعادة عند إخوان الصفا .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما الخاتمة، فقد دونت فيها الباحثة أهم النتائج التي انتهت إليها. وقد أعقبت الخاتمة بقائمة ضمنتها أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في إعداد الدراسة.

المدخل وعنوانه "مفهوم السعادة وشروط تحقيقها" ونتناول فيه:-

(أ) المعني اللغوي للسعادة:-

كلمة السعادة مشتقة لغوياً من السعد بمعنى اليمن وهو نقيض النحس، والسعادة خلاف الشقاوة، ويقال سعد يسعد سعدًا، وسعده الله وأسعده أي أعانه على نيل الخير فهو سعيد وعلى هذا فإن السعادة تقترن بالسعد سعد المرء يسعد مسعدًا[١] ويقول بعضهم أن السعادة هي معاونة الله للإنسان علي نيل الخير, ويقال أن السعد هو التوفيق.

وجاء في الموسوعة الفلسفية المختصرة: "إن الهدف من الأخلاق هو السعادة وقوام السعادة إلي حد كبير هو التحرر المطمئن من الخوف والقلق، وسعادة العقل أهم بكثير من لذائذ الحس، لأن هذه عابرة وكثيراً ما تؤدي إلى الألم، ولئن كانت السعادة هي الشيء الوحيد الذي له قيمة فإن للحكمة قيمة كبيرة ما دمنا لا نستطيع إلا بفضلها أن نعرف بأن اللذائذ جديرة بأن نسعى إليها، وكيف نحصل عليها" [٢] أما في المعجم الوسيط فعرفت السعادة بأنها "معاونة الله للإنسان علي نيل الخير وتضاد الشقاوة"[٣].

وعرّف جميل صليبا السعادة بأنها "ضد الشقاوة وهي الرضا التام بما تناله النفس من الخير والفرق بين السعادة واللذة أن السعادة حالة خاصة بالإنسان وأن رضى النفس بها تام علي حين أن اللذة حالة مؤقتة[٤].

وكذلك نجد مجمع اللغة العربية قد عرّف السعادة بأنها في أساسها "حالة تنشأ عن إشباع الرغبات الإنسانية كماً وكيفاً وقد تسمو إلي مستوى الرضا الروحي ونعيم التأمل والنظر وبذلك تختلط بالغبطة وإن كانت هذه أدوم وأسمى"[٥].

---

(1) محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري جمال الدين أبو الفضل _ لسان العرب (دار صادر – بيروت - ١٩٩٥) المجلد السادس حرف السين ص ١٣٨.

(2) الموسوعة الفلسفية المختصرة – نقلها عن الإنجليزية فؤاد كامل - جلال العشري -عبد الرشيد الصادق- راجعها وأشرف عليها وأضاف إليها شخصيات إسلامية د/ ذكي نجيب محمود (دار القلم - بيروت - د.ت) ص ١٩٦.

(3) إبراهيم منصور وآخرون - المعجم الوسيط (مكتبة الشروق الدولية -القاهرة - ٢٠٠٤) ص ٤٠٣ .

(4) جميل صليبا - المعجم الفلسفي (دار الكتاب اللبناني - بيروت- ١٩٩٢) المجلد الأول مادة السعادة ص ٦٥٦.

(5) المعجم الفلسفي- المجمع الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية تصدير د/ إبراهيم بيومي مدكور (الهيئة العامة لشؤن المطابع الأميرية - القاهرة -١٩٧٩) ص ٩٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ب- المعني الاصطلاحي للسعادة:-

كانت السعادة في فلسفة العصر الهللينستي وأخص بالذكر المدرستين الأبيقورية والرواقية يقصد بها طمأنينة النفس، وهي تقوم علي الأمن الباطني واللامبالاة بما حول الإنسان والابتعاد عن كل ما يسبب ألماً أو قلقاً أو خوفاً [٦].

وقد أعلن أبيقور بأن السعادة تكمن داخل قدرة الإنسان عندما يريد ذلك بل واعتبر أن العمل على تحرير الإنسان من مخاوفه هذه، والتي تقيد انطلاقة المهمة التي ينبغي أن تضطلع بها الفلسفة وأن عليها أن تعلّم البشر كيف يعيشون حياة عقلية متزنة ولا يرتضون فيها سوى بما تمليه عليهم عقولهم الحرة وحدها[7] .

وعلى عكس المدرسة الأبيقورية فقد اتجهت المدرسة الرواقية اتجاهاً جديداً وهو الاتجاه نحو السلوك الإنساني في الحياة، فالسعادة هي أن يسير الإنسان علي وفاق مع الطبيعة لأنه جزء منها فلابد أن يعيش متلائماً معها.

وكان تعريفهم للسعادة بأنها غاية الإنسان وهو أن يعيش علي وفاق مع الطبيعة، فقد أقاموا فلسفتهم علي تصورهم للطبيعة ومع ذلك فقد كان اهتمامهم بالطبيعة قاصراً على علاقتها وأهميتها بالنسبة للفعل الإنساني[٨] فقدمت الرواقية بذلك نظرية في الأخلاق وجعلت علمي الطبيعة والمنطق هما الأساسيين الذين تقوم عليهما.

أما إخوان الصفا فلم يقفوا عند معنى السعادة بل كانوا يرون أن السعادة هي غاية مرحلتين مرتبطة بحياة النفس الناطقة المقترنة بالجسد فإذا ما فارقته وهي سعيدة فإن سعادتها الحقيقية والمستمرة تظل أبد الآبدين وهي غاية الغايات[٩] ولذالك قاموا بتصنيف السعادة في صنفين:-

١- سعادة دنيوية ٢_ سعادة أخروية

كما أكد إخوان الصفا على أن كل شيء يراد من أجل الخير، والخير يراد من أجل ذاته، والخير المحض السعادة، والسعادة تراد لنفسها لا لشيء آخر[١٠].

---

(6) نفس المعجم - ص ١٧٧.

(7) H. Baker . The Image of man(,hanper torch books- New york- 1961) p 30

(8) الموسوعة الفلسفية المختصرة - ص ١١٨

(9) فؤاد معصوم - إخوان الصفا فلسفتهم وغايتهم (دار المدي- سوريا- ٢٠٠٢) ص ٢٦٥

(10) برتراند رسل - تاريخ الفلسفة الغربية (الكتاب الأول الفلسفة القديمة) - ترجمة ذكي نجيب محمود - مراجعة أحمد أمين (الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ٢٠١٠) ص ٢٨٧

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ج- تعريف السعادة في القرآن الكريم:-

إذا بحثنا في آيات القران الكريم عن لفظ السعادة أومشتقاته فسنجده قد ورد مرتين فقط إحداهما في **قوله تعالى**:

"يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد" (سورة هود- آية ١٠٥)

والأخرى في **قوله تعالى**:

"وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ" (سورة هود - آية ١٠٨)

إن لفظ السعادة (سعدوا) الذي ورد في الموضع الثاني يقصد به الذين يسعدون هم الذين يدخلون الجنة، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وفي القران الكريم ارتباط وثيق بين الإيمان وبين عمل الصالحات وهو ما طبقه مفكرو الإسلام.

د- شروط تحقيق السعادة:-

كانت السعادة ولا تزال الهدف الذي يسعى إليه الإنسان، منذ أن وجد على ظهر الأرض، والسعادة تشمل الجانب المادي كما الجانب الروحي، حيث نجد أن الغاية القصوى التي من أجلها كانت الأخلاق هي تحقيق وتحصيل السعادة، وأن السعي وراء السعادة لابد وأن يكون مذهباً يهدم نفسه بنفسه مادام من شأن كل جهد يبذل في سبيل الحصول على السعادة أن يقودنا إلي العجز التام عن التمتع بالسعادة [١١].

وشروط تحقيق السعادة تكمن في أن تكون ميول النفس لها راضية مرضية وأن يكون رضاها بما حصلت عليه من الخير تاماً ودائماً وهى الغاية القصوى التي تُطلب لذاتها وأن تكون كافية وحدها لتحقيق سعادة الإنسان، وأن خير الإنسان وكمال وجوده هو في ممارسة حياة الحكمة والتأمل على أكمل وجه من حيث أنه كائن ناطق أي أن سعادة الإنسان ترجع إلي استمرار الفعل الأكثر التصاقاً بطبيعته الناطقة[١٢] فالسعادة هي الخير الأعظم وهي تقترن بالحياة الطيبة والعمل الطيب.

المبحث الأول " نظرية السعادة في الفلسفة الابيقورية " وتناولت فيه الباحثة بالدراسة الموضوعات التالية:

(أ) مفهوم اللذة عند أبيقور وارتباطها بالسعادة .

(ب) ارتباط الفضيلة بالسعادة عند أبيقور.

---

(11) زكريا إبراهيم - المشكلة الأخلاقية (مكتبة مصر - القاهرة -١٩٦٦) ص ١٤٠

(12) محمد علي أبو ريان - تاريخ الفكر الفلسفية ج٢ أرسطو المدارس المتأخرة (دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية - ١٩٩٧) ص ٢١٦

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(أ) مفهوم اللذة عند أبيقور وارتباطها بالسعادة :-

تأسست المدرسة الأبيقورية علي يد الفيلسوف أبيقور (٣٤١_٢٧٠ ق. م) حيث نذر هذا الفيلسوف نفسه لتعليم الناس طرق تحقيق السعادة لكل فرد ولهذا انشأ مدرسته في أثينا عام (٣٠٦ ق. م) والتي أطلق عليها اسم (حديقة أبيقور).

ولقد كان للأبيقورية أثر كبير في الفكر الأخلاقي القديم والحديث على السواء وذلك لأنها حملت معها رؤية جديدة ببساطة تعاليمها وتركيزها علي مبدأ اللذة، كدافع حيوي جعل أتباعها يتزايدون مع مرور الأيام في حين كانت المدارس الأخرى تتراجع شيئاً فشيئاً.

يقول "كرنيادس": أنه لكي يكون المرء سعيداً يحتاج إلي البحث في يومياته كم مرة كانت له علاقة ممتعة، وكم مرة دُعي إلى مأدبة فاخرة "[١٣].

فوظيفة علم الأخلاق عند أبيقور كانت تهدف إلى القضاء على المخاوف من الأمور الميتافيزيقية التي تعترض طريق تحقيق سعادتنا، وفي ذلك يقول أبيقور الحكيم أنه سعيد حتى ولو هام في الحضيض [١٤].

ولقد ربط أبيقور في فلسفته بين اللذة والسعادة، حيث جعل اللذة هي الخير الأسمى وليس المقصود بها اللذة القصيرة القوية، بل اللذة الدائمة طوال العمر ومن ثم يجب استبعاد اللذات الحسية المؤقتة التي قد تنقضي دون أن نحقق سعادتنا، وكذلك ينبغي تجنب المبالغة في طلب اللذة حتى لا تنقلب إلي ألم بما تحدثه من إجهاد واعتلال للصحة[١٥].

فالإقبال علي اللذات يجب أن يكون مرتبطاً بالحكمة، وأن اللذة هي بداية الحياة السعيدة ونهايتها، وقد أطلق أبيقور اسم اللذات العليا غير الحسية علي النشاط العقلي وحب الجمال والعبادة الروحية[١٦]، ومن هنا كانت كلمة اللذة جمع اللذات بينما يذكر دائماً لفظ السعادة منفرداً. فاللذة غاية ويلزم أن تكون الوسيلة إليها فضيلة وأن العقل والعلم والحكمة تقوم بتدبير الوسائل وتوجهها إلى الغاية المنشودة وهي الحياة اللذيذة السعيدة[١٧].

---

(13) أبيقور الرسائل والحكم - جلال الدين السعيد (الدار العربية للكتاب - القاهرة -١٩٩٠) ص١٢٣

(14) حربي عباس عطيتو - اتجاهات التفكير الفلسفي عند اليونان (٢) العصر الهللينستى (مطبعة أورينتال – الإسكندرية - ٢٠٠٧) ص ١٧٤

(15) محمد علي أبو ريان - مرجع سابق ج٢- ص ٢٦٩ للمزيد انظر Neven Leddy & Avislifschitz – Epicurus in the Enlightenment (Voltaire foundation –Oxford London- 2009) p 70

(16) مصطفى عبده - فلسفة الأخلاق (مكتبة مدبولي - القاهرة -١٩٩٩) ص٥٤

(17) محمد العريبي – المناهج والمذاهب الفكرية والعلوم عند العرب (دار الفكر اللبنانى – بيروت -١٩٩٤) ص ٤٦ للمزيد انظر J.M.Rist – Epicurus An Introduction (Cambridge University press- 1977) p 100

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويرتبط مفهوم أبيقور في اللذة بمبدأين أساسيين هما: -

المبدأ الأول: أن الآلهة لا تعتني بالبشر ولا تأبه بأفعالهم .

المبدأ الثاني: أن لا شيء يدعونا للخوف من الموت لأن الموت لا يمثل شيئاً بالنسبة لنا، فنحن لا نحس بالموت وطالما أن كل خير وكل شر يكون خاضعاً للإحساس، ونحن عند الموت نفقد الإحساس فلا داعي للخوف من الموت[١٨] .

ولقد كان الخوف من الموت ومن العقاب الأخروي، والخوف من الآلهة أكبر المخاوف التي تكبل عقول معاصري أبيقور، وتمنعهم من الانطلاق وممارسة الحرية الإنسانية، لذالك جعل أبيقور تحرير معاصريه من هذين الخوفين هو اللبنة الأولى في نسقه الفلسفي، فأكد على أن الموت لا يمثل أي شيء لنا بل هو عرض طارئ في حياتنا، وعلينا أن نسعى إلى التمتع بالسعادة الكاملة في حياتنا الدنيا لأنها الوحيدة التي نعيشها أما الموت فيعني الرقاد الأبدي فلا يجب أن يحيل الإنسان حياته الوحيدة المتاحة له إلى جحيم بأن يقع فريسة لخوف من أمور ميتافيزيقية ومن شيء لا وجود له [١٩].

وقد قسّم أبيقور اللذات إلي إيجابية وسلبية: -

(١) **إيجابية**: وتتمثل في متع الحس.

(٢) **سلبية**: وتتمثل في اللذات الباطنية التي تبدو في الخلو من الانفعال، وهذه هي الطمأنينة السلبية أو الأتركسيا المعروفة عند الأبيقورية، والمقصود بها التوازن الباطني وهدوء العقل والتحرر من الانفعال الذي ينشأ عند التأمل في غايات الحياة لذاته، وهذه اللذات السلبية وهي أعظم ديمومة ومن ثم كانت أسمى مكاناً[٢٠].

وقد أكد توفيق الطويل في مؤلفه "الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها" على أن الغاية القصوى لحياة الإنسان تكمن في السعادة السلبية التي تتحقق بطمأنة النفس وهدوء البال وقد التمسوا هذه السعادة نفسها في حياة الهدوء والخلو من المخاوف والانفعالات[٢١].

---

(18) مجدي كيلاني - المدارس الفلسفية المتأخرة (المركز الاستشاري المصري للتدريب ونشر البحوث العلمية - الإسكندرية - ٢٠٠٦) ص ٨٠

(19) w. Kauf mann . philosophic classics . vol (prentice holl u.s.a 1961) p 82

(20) توفيق الطويل - مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق (مكتبة النهضة المصرية – القاهرة - ٢٠٠٤) ص ٥٣

(٢١) توفيق الطويل - الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها (دار النهضة المصرية - القاهرة -١٩٧٦) ص١٠٨

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبذلك رحب الأبيقوريون بالتمتع باللذات واتفقوا على جعل السعادة السلبية هي غاية قصوى لحياة الإنسان وهي بهذا تعتبر استجابة لروح العصر الذي يعيشون فيه. فأبيقور يعتبر الإنسان جسد ونفس وأن سعادته تكمن في تحقيق الخير الملائم لطبيعة كليهما، والخير الملائم لطبيعة الجسد هو اللذة، أما الخير الملائم لطبيعة النفس فهو الطمأنينة.

وأن السعادة الحقيقية إنما تكمن في غياب الألم من جهة وفي الاعتدال من تناول اللذات من جهة أخرى إذا يتعين علينا أن لا نشبع من رغباتنا إلا الرغبات الضرورية والطبيعية فقط، فهذا هو سبيلنا نحو الطمأنينة ومن ثم نحو السعادة(٢٢).

ولهذا فقد أكد أبيقور على أن السعادة لدى الإنسان تبدأ من الاتجاه إلى كل ما هو لذيذ بشكل طبيعي حيث نجده يؤكد على دور العقل في تمييز أنواع الرغبات والاختيارات **وقد قسّم الرغبات إلى**:

- رغبات طبيعية وضرورية للحياة (كلذة الطعام والشراب) .
- رغبات طبيعية وليست ضرورية (كلذة الأغذية المترفة) .
- رغبات ليست طبيعية وليست ضرورية (كلذة جمع المال والذهب والشهوة)(٢٣).

ودون إشباع الرغبات الأولى لا يستطيع الإنسان أن يحيا، ودون إشباع الثانية لا يستطيع أن يكون سعيدًا، أما الرغبات الثالثة فيستطيع الإنسان أن يحيا دون النظر إليها(٢٤).

إن أبيقور كان يعيش عيشة بسيطة ويحث تلاميذه على بساطة العيش، وكان يرى أن البساطة والاعتدال وابتهاج النفس وضبطها أهم وسائل السعادة وكانت له عبارة رائعة يقول فيها :

"**إذا كان القليل لا يكفيك فلن يكفيك أي شيء**"(٢٥)

---

(22) مجدي كيلاني - مرجع سابق – ص ص ٣٧_ ٣٨

(23) جلال الدين سعيد - مرجع سابق - ص ٢٠٦ فقرة ١٣١

(24) W. widleband. history of ancient philosophy (Cambridge university press – New York -1956) p 323

(25) Edelstein .l. the meaning of stoictism (Harvard press _U.S.A- 1966) p 40

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولكي نحقق السعادة علينا أن نمتلك صفات أساسية فنحن لا يمكننا العيش في سعادة دون العيش في حكمة ونزاهة وعدل ولا يمكننا إذا حققنا هـذه الأخيـرة أن نعـيش دون سعادة لأنه لا يمكن لمن كان فاقدًا لإحدى هذه الأشياء أن يعيش سعيداً [٢٦].

وقد انتهى أبيقور إلى أن "الحرية تعتبر شرط أساسي للـسعادة التـي هـي الغايـة والكمال الطبيعي للحياة واعتبر الحرية ليست حقاً مكتسباً وإنما إنجاز يحققه الإنسان بيديـه وبتخطيط عقله" [٢٧]

فالأخلاق لدى أبيقور تهدف إلى السعادة؛ تلك السعادة التي تقوم على الشعور باللـذة واللذة خير وكل ما يؤدي إليها خيراً أيضاً والألم شر وكذلك كل ما يؤدي إليه[٢٨]

وقد ذكر أبيقور أربعة عوامل تجعل الإنسان سعيداً ألا وهي: -

(١)**الفلسفة**: حيث أكد على أن دراسة الفلسفة أمر مركزي لتحقيق السعادة فهي تساعدنا على إزالة الخوف من الموت والخوف من الآلهة. وقد لخص ذلك في رسالته الثالثة إلى مينوقيوس مؤكدًا على ضرورة دراسة الفلسفة وأنه لا مفر منها في سني الشباب والشيخوخة لأنها السبيل الوحيد إلى السعادة التي إذا وجدت حصلنا على كل شيء وإذا انعدمت كانت جميع أفعالنا مصوبة نحو بلوغها[٢٩] كما يشير في أواخر رسالته إلى هيرودتس إلى إن "تحصيل المعرفة الصحيحة بأسباب الأشياء هو من اختصاص العلم الطبيعي وإن السعادة تتوقف على هذه المعرفة وما يلحق بها من معرفة بالأسرار الفلكية والعلوية أيضاً[30].

ولهذا دعا أبيقور الجميع لأن يتفلسفوا حتى يجدوا ويعيشوا حياة السعادة " فالفلسفة هي التي ثورت الحكمة التي هي مبدأ كل شيء وهي أعظم خير نعرفه وهي أصل جميع الفضائل". [٣١]

---

(26) بيار بويانشى _ أبيقورس _ سلسلة أعلام الفكر العالمي , ترجمة د/ بشارة صارجي (المؤسسة العربية للدراسات والنشر _ ط١ بيروت _١٩٨٠) ص ٦٤

(27) A. .s Begomolor .history of ancient philosophy Greecard rome_ oress publishers Moscow _1985 p 286

(28) محمد الخطيب , الفكر الإغريقي (منشورات دار علاء الدين - دمشق - ١٩٩٩) ص ٢٢٩

(٢٩) Zeller. E the Stoics, Epicureans skeptics - – trans . by Oswald . j. Reichel (Oxford university press- New York- 1980) p74

(30) J.M.W.Turnar,The Epicurean (john Macrone press- London – 1839) p 140

(31) James warren, The Cambridge to companion Epicureanism (Cambridge university press- London -2009) p146

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٢) **الصداقة**: أكد أبيقور على أن الصداقة هي إحدى أهم مناحي الحياة الجيدة وأنها ليست غاية في ذاتها وإنما هي وسيلة نافعة للسعادة.

(٣) **الحصانة**: وهي الطريقة الممتازة لاتخاذ القرارات التي يمكن النظر إليها على إن جميع القرارات قد تؤدي إما إلى المتعة أو إلى الألم فالتخطيط للمستقبل والتفكير مقدماً في هذه النتائج المحتملة سيساعدنا في الوصول إلى الحياة الممتعة.

(٤) **الأمان**: وضّح أبيقور أن أفضل حل هو العيش حياة خاصة دون الانخراط في السياسة أو الأعمال أو القانون ونصح بأن يحيط المرء نفسه بأصدقاء لديهم عقول متشابهة لعقله[32].

(ب) ارتباط الفضيلة بالسعادة عند أبيقور:-

يرى أبيقور أن الفضيلة هي الحياة بمقتضى العقل، والأخلاقيات هي الفعل العقلاني، وأن على الحكيم أن يوجه مشاعره بالعقل وأن يمتلك ما أطلق عليه " فن التمتع بالمشاعر السعيدة والتخلص من المشاعر الأليمة "[٣٣].

والحكمة عند أبيقور تتصدر أربعة فضائل محورية هي:

{١} الاستبصار {٢} التحكم في النفس

{٣} الشجاعة {٤} العدل [٣٤]

ولما كانت كل الفضائل لها أصل واحد فإن من يمتلك الحكمة يمتلك الفضائل كلها، ومن تنقصه تنقصه الفضائل كلها، والحكيم هو شخص كامل كله سعادة وحرية وجمال، وهو وحده الملك والسياسي والشاعر والناقد، ولهذا نجد أن عدد الحكماء قليل.

أما سعادة الحكيم فهي ليست مثمرة قطعاً؛ وذلك بسبب المتطلبات الضرورية للحياة والقلق المحتوم للألم والحزن، غير أن نصيبه من السعادة تام مطلق مثل الآلهة[٣٥].

---

(32) ماجد فخري – تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلوطين وبروقليس (دار العلم للملايين – بيروت – ١٩٩١) ص ١٦٧

(33) أبيقور رسالة إلى منيس- الترجمة إلى العربية ضمن كتاب جلال الدين سعيد – أبيقور الرسائل والحكم (الدار العربية للكتاب – القاهرة -١٩٩٠) ص٢٠٦ فقرة ١٣١

(34) وولتر ستيس – تاريخ الفلسفة اليونانية – ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد (دار الثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة – ١٩٨٤) ص٢٨٣ للمزيد Norman Went & Worth Dewitt- Epicurus his philosophy (university of Minnesota press –london – 1964) p 290

(35) حربى عباس عطيتو – مرجع سابق – ص ١٧٥

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويقول أبيقور في ذلك أن " الحكيم وهو يعيش على الخبز والماء يستطيع أن يشارك زيوس رب الأرباب نفسه في السعادة إن البساطة والتواضع والاعتدال هي خير وسائل السعادة وغالبية الاحتياجات الإنسانية والتعطش للشهرة غير ضرورية وبلا جدوى" [٣٦].

والفضيلة عند أبيقور هي الشرط الجوهري لتحقيق الطمأنينة التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالسعادة، لذلك كان على الحكيم أن يكون حاصلاً على هذه الفضيلة التي يتمكن بواسطتها من تجنب كل ما يعوق الوصول إلي الخير الأعظم أي السعادة[٣٧] . فالفضيلة عبارة عن شعور بالانسجام الذاتي جدير بأن يطلب بحد ذاته لا لشيء آخر وفيه تكمن السعادة. "والإنسان لا يجب أن يعتمد في سعادته على ما هو خارجي بل يجب أن يحصل على نعمته وجنته من ذاته والحكيم يستطيع أن يكون سعيداً حتى وهو في كرب جسماني وذلك لأنه يمتلك في هدوء نفسه الداخلي سعادة "[٣٨]

ولذلك وضع أبيقور ثمانية مفاهيم لسعادة الإنسان ألا وهي :-

{١} لا تخاف من الإلهة . {٢} لا تخاف من الموت .

{٣} ابحث عن المتعة بحكمة . {٤} عيشا ببساطة .

{٥} اعقد صداقات وابحث عن أصدقاء وكن حسن المعاملة لأصدقائك .

{٦} لا تخاف من الألم . {٧} كن مخلصاً في حياتك وعملك.

{٨} ابتعد عن الشهرة والطموح السياسي . [٣٩]

ومن خلال تحقيق كل تلك الأمور ستكون إنساناً سعيداً لأنه من المستحيل أن تكون سعيداً دون أن تكون حكيماً ومحترماً وشريفاً.

---

(36) ولتر ستيس - مرجع سابق - ص ٢٩١

(37) محمد علي أبو ريان - مرجع سابق - ص ٢٦٩ للمزيد انظر محمد يوسف مرسى – تاريخ الاخلاق (دار الكتاب العربى ط٢ – القاهرة – ١٩٥٣) ص ١١٣

(38) ولتر ستيس , مرجع سابق ص ٢٩١

(39) Timokeefe – Epicureanism (Routledge published- New York – 2010) p11

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الثاني " نظرية السعادة في الفلسفة الرواقية " وقد تناولت الباحثة فيه بالدراسة الموضوعين التاليين:-

(أ) فلسفة الرواقية الأخلاقية.

(ب) مفهوم السعادة عند الرواقيين.

(أ) فلسفة الرواقيين الأخلاقية:-

إن محور الارتكاز الأساسي في الفلسفة الرواقية الأخلاقية هو التوحيد بين الفضيلة والسعادة "والأخلاق لديهم هي أن يفعل الإنسان وفقاً لقوانين العقل وفي سيره بمقتضى العقل فإنه يسير بمقتضى قوانين الطبيعة وإن الغاية التي تهدف إليها الفلسفة هي أن تضع قوانين للسلوك الإنساني الخير لأن الفلسفة هي الفضيلة"(٤٠).

وبذلك صاغ الرواقيون مذهبهم الأخلاقي استجابة لظروف عصرهم نتيجة لوجود اضطراب مادي واقتصادي وسياسي وفراغ أخلاقي وبذلك جعل الرواقيون من الأخلاق مثلاً أعلى أقرب ما يكون إلى السعادة العقلية الخالصة.

" أما الفضيلة فإنها لا تخضع لأي عاطفة أو وجدان فالحياة الخلقية حياة عقلية لا يحكمها سوى طاعة القانون الطبيعي الكلي" (٤١) وبهذا تخلو الفضيلة من كل مظهر من مظاهر الثراء الباطني حتى جعلت السعادة تعلي من شأن قيم أخرى لا صلة لها باللذة مثل الحديث عن ملكوت أسمى هو ملكوت اللوغوس حيث يعتبر قانون العالم وروحه والخير الأسمى هو الاتحاد باللوغوس في أحضان العقل الكلي .

ويؤكد زكريا إبراهيم على أن "ما يحول دون الفضيلة والسعادة إنما هو الانفعال الصادر عن قوة غير عاقلة"(٤٢) وهذا الرأي يتفق معه فيه يوسف كرم في مؤلفه تاريخ الفلسفة اليونانية. وبذلك فقدت الرواقية كل طابع وجداني أو عاطفي وكأن على رجل الأخلاق أن يتحرر من كل مشاركة في قيم الحياة وأن يغمض عينيه عن كل ما قد يولّد لديه رغبات أو انفعالات أو أهواء(٤٣) وأدى ذلك إلى وقوع الرواقية في إشكالية أن

---

(٤٠) عبد الرحمن بدوي – خريف الفكر اليوناني (مكتبة النهضة المصرية – القاهرة -١٩٧٩) ص ١٢

(41) Brad In wood- Ethics and Human Action in early stoicism (clarendon press- u.s.a – 2004) p183

(42)) زكريا إبراهيم – مرجع سابق – ص١٤٤

(43) Steven.k.Strange- stoicism traditions and trans formations (Cambridge university press- London – 2004) p 12

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإنسان ليس عقلاً صرفاً فقط بل هو كائن حي له أفكاره وعواطفه ورغباته وميوله واتجاهاته الوجدانية.

"وإن الإنسان الحكيم هو وحده الحاصل على الحرية والغنى والسعادة وسائر الفضائل الأخرى فضلاً عن كمال المعرفة وهو المَلِك الحق والسياسي الحق والشاعر الحق والربان القدير" [٤٤] وهم في هذا الوصف للحكيم يتفقون مع الأبيقورية فيه. وذلك لأن الإنسان الحكيم هو الذي يسير حياته كلها "وفقاً لما يسمونه العقل الصريح وهو وحده الحاصل على الحرية فضلاً عن كمال المعرفة متحرر من الرغبات ومن المطالب الذاتية وسعادته أبدية كسعادة زيوس Zeus"[٤٥]

وإن محاولتك في أن تكون فاضلاً تنوي مع محاولتك في أن تكون سعيداً. " فالخير كان مصطلحاً مطلقاً عند الرواقية وهو لا ينطبق إلا على الكمال الخلقي الذي لا يؤثر إلا في الرجل الحكيم وينطبق عليه، أما الأشياء الأخرى التي تعتبر خيّرة مثل الصحة والذكاء فهي ليست قيماً خيرة؛ لأنها ربما تُستخدم لخدمة أهداف سيئة من أجل ارتكاب الشرور"[٤٦] وتنتهي الأخلاق الرواقية إلى المناداة بالزهد وحياة التقشف؛ وذلك تحقيقاً لنوع من السعادة السلبية التي اعتبرتها الغاية القصوى للحياة.

(ب) مفهوم السعادة عند الرواقيين:-

إن مؤسس المدرسة الرواقية هو زينون (٣٣٤-٢٦٣ ق.م) وهو يُرجع السعادة إلى الفعل الموافق للعقل وهي في نظره غير ممتنعة عن الحكم وإن كان طريقها محفوفاً بالألم والعذاب وأهم شيء هو "أن يكون في الوجود نظام وهذا النظام يستوجب وجود الخير والشر واللذة والألم على السواء والإنسان السعيد هو المتصف بالسعادة"[٤٧]

ويذكر زكريا إبراهيم في مؤلفه مشكلات فلسفية "إن السعادة عند الرواقيين تنحصر في ضبط النفس واكتفاء بالذات والحكمة" [٤٨] وقد أضاف إليهم مصطفى عبده في مؤلفه فلسفة الأخلاق "الخلو من الرغبة والتحرر من الانفعال والتخلص من الهوى"[٤٩]

---

(44) عبد الرحمن بدوي – تاريخ الفلسفة في ليبيا – الجزء الأول (كرنيادس القورينائى) (دار صادر – بيروت – ١٩٦٩) ص ١٥٢

(45) Miriam Griffin & Alison Samuels- Studies in stoicism (oxford university press- united kingdom – 2013) p44

(46) F.H.Sandbach, The stoics Hokett publishiny company – U.S.A.- zenedition -1989) p 28

(47) المعجم الفلسفي – مرجع سابق – ص٦٥٧ للمزيد انظر William B. Irvine –A guide to the Good life : the Ancient Art of Stoic joy (Oxford university press – U.S.A- 2009) p67

(48) زكريا إبراهيم – مرجع سابق – ص ١٣٦

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبذلك اكتسبت هذه الفضائل عند الرواقيين صيغة عقلية فأصبح مدلولها مختلف تمام الاختلاف عما كان لها عند الأبيقورية.

والناس في نظر الرواقية طائفتان متمايزتان: -

(١)**طائفة الحكماء**: وهم الذين لهم جميع الكمالات وجميع السعادات.

(٢)**طائفة السفهاء**: وهم الذين لهم جميع النقائص وجميع الشقاوات[٥٠]

وهذا هو الاعتبار الوحيد الذي يفرق بين أفراد البشر , فالرجل الحكيم الذي يعيش على وفاق مع الفضيلة التي هي أيضاً حياة سيتم فيها مراعاة قواعد العقل السليم " وإن القانون الذي يتغلغل في جميع الأشياء ويتماثل مع الله علة جميع الأشياء وحاكمها هو هذا العقل نفسه الذي يشكل الفضيلة التي يسعى الإنسان السعيد لبلوغها , فالسعادة تكمن في تحقيق جميع الأفعال في تناغم مع الروح الكامن داخل كل فرد فينا" . [٥١]

وقد رأى الرواقيون إن سعادة الإنسان لا تخضع للظروف التي تحيط به وإنما تتوقف على حالة النفس حيث أن للإرادة سلطاناً عليها " فليست الأشياء الخارجية هي التي تؤثر بذاتها في وجودنا الباطن وإنما المؤثر الحقيقي هو استعدادنا النفسي الذي يجعلنا نحيا في هذه الظروف ونحكم عليها أحكاماً تقويمية وبذلك تصفها بالحسن أو القبح أو الشر" [٥٢]

والسعادة أعلى قيمة في الحياة بل إنها القيمة الوحيدة وإن للسعادة علاقة وثيقة بكل ما يحمل طابع الخير لأنها " ليست سوى شعورنا بأننا نمارس وظائفنا في انسجام تام وأننا نتمتع بأقصى ما تيسره لنا طبيعتنا من حياة خصبة وما دام الأمر كذلك فإن الإنسان حين يريد حياته إنما يريد سعادته وهو حين يريد سعادته فهو إنما يريد أن يجيء كل شيء مطابقاً لقانون الطبيعة ."[٥٣]

وكذلك ربط الرواقيون بين الخير والنظام الكوني ولما كان العقل البشري متجانس مع العقل الكوني فإن معرفة الإنسان وواجباته لا تكون كاملة حتى تشمل الكون ومكان الإنسان فيه لأنه إذا ما فهم عمل العقل في الكون استطاع أن يوحد بين نفسه وبين غاية الكون بمعنى أن يعيش على وفاق مع الطبيعة.

---

(49) مصطفى عبده – مرجع سابق –ص ٥٦

(50) عثمان أمين – الفلسفة الرواقية (مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة -١٩٧١) ص ٣٤٩

(51) ديوجين الأيرثى – حياة مشاهير الفلاسفة – المجلد الثاني – ترجمة إمام عبد الفتاح إمام (المركز القومي للترجمة ج٢– القاهرة – ٢٠٠٨) ص ١٩٧

(52) عثمان أمين – مرجع سابق – ص ٢٠٢

(53) زكريا إبراهيم – مرجع سابق – ص ١٣٥

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والحياة عند الرواقيين هي حرب يشنها العقل لإماتة الشهوات وإبادة الأهواء ومحوها من الوجود ومن ثم انتهت الأخلاق عندهم. وكما يصفها توفيق الطويل "بأن الرواقية أصبحت مذهب في الزهد الموغل الذي ينقصه التوازن تحقيقاً لنوع من السعادة السلبية"[٥٤] ولذلك ذهب الرواقيون إلى أن العقل هو الخير وإن السعادة هي شعورنا بأننا نمارس وظائفنا في انسجام تام مع قوانين الطبيعة.

(54) توفيق الطويل – فلسفة الأخلاق – مرجع سابق – ص ٨٨ للمزيد انظر Ludwig Edelstein – The meaning of Stoicism(Harvard university press – london- 1966) p40

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الثالث " مفهوم السعادة عند إخوان الصفا " فقد تناولت الباحثة فيه بالدراسة الموضوعين التاليين:-

(أ) أقسام السعادة ودرجاتها عند إخوان الصفا.

(ب) ماهية اللذة وصلتها بالسعادة عند إخوان الصفا.

أولاً :- أقسام السعادة ودرجاتها عند إخوان الصفا

تقسيم السعادة عند إخوان الصفا:-

يرى إخوان الصفا أن الأخلاق لها ارتباط وثيق بمفهوم السعادة وأن سعادة الإنسان لا تقتصر على الحياة الدنيا بل أن يعمل الإنسان في دنياه من أجل الحصول على الجزاء في الآخرة؛ أي الحصول على الخير والسعادة القصوى وذلك بالعمل على إعمار الأرض وحسن عبادة الله فيها؛ فإذا جمع الإنسان بين الفضيلة والحكمة وبين الأخلاق ومعرفة الله وعبادته تحققت له السعادة في الدنيا والآخرة، والسعادة الأخروية عندهم أرفع وأعز من سعادة الدنيا(٥٥).

وقد قدّم إخوان الصفا عدة تصنيفات للسعادة وهي :-

(١)سعادة دنيوية (٢) سعادة أخروية

الأولى: أن يبقى كل موجود أطول ما يمكن على أفضل حالاته وأتم غاياته .

والثانية: أن تبقى كل نفس إلى أبد الآبدين على أفضل حالاتها وأتم غاياتها(٥٦).

ويتفق محمود إسماعيل مع أحمد محمود صبحي على هذا التصنيف مؤكدان على إن غاية الأخلاق عند إخوان الصفا دنيوية وأخروية " فالسلوك الحسِن يسهم في عمران الدنيا ويفضي إلى السعادة في الآخرة " (٥٧) وأن الموجودات كافة فتسهم بقسط يكبر أو يصغر من السعادة الدنيوية أو الأخروية، ولكن أسعد السعادات وأتم النهايات وأرفع المقامات ما يناله أولياء الله الذين هم صفوته وأهل مودته وهم لهم ثلاث خصال:-

---

(55) أحمد محمود صبحي – الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي (العقليون –والذوقيون أو النظر والعمل (دار المعارف – القاهرة – ١٩٨٣) ص ٥٣

(56) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا – للإمام الهمام قطب الأقطاب مولانا أحمد بن عبد الله (طبع على ذمة الحاج الشيخ نور الدين بن المرحوم جيواخان الكتبى ببلدة بمبىء مطبعة نخبة الأخبار – محلة بهيندى بازار – ١٣٠٦ ه) – الرسالة ٩ ص ٣١٧

(57) محمود إسماعيل – إخوان الصفا –رواد التنوير في الفكر العربي (عامر للطباعة والنشر – المنصورة - ١٩٦٩) ص ١١١

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولهم: معرفتهم بربهم.

الثانية: قصدهم نحوه يهمهم.

الثالثة: طلابهم مرضاته بسعيهم وأعمالهم.[٥٨]

وقد ذكروا في موضع آخر أن السعادة تنقسم إلى قسمين:-

(١) السعادة الداخلية (٢) السعادة الخارجية

والسعادة الداخلية نوعان:-

الأولى: في الجسد مثل الصحة والجمال.

والثانية: في النفس كالذكاء وحسن الخلق.

أما السعادة الخارجية فهي نوعان أيضاً:-

الأولى:- ملك اليد, كالمال والمتاع .

والثانية: الأقران, كالزوجة والصديق والولد والأخ والأستاذ والمعلم والصاحب والسلطان .[٥٩]

كما قام إخوان الصفا في مرة تالية لهم بعمل تقسيم آخر للسعادة وقسّموها إلى قسمين وذلك تبعاً لتركيب الإنسان من نفس وجسد وهي عندهم:-

(١)سعادة مادية جسدية .

(٢)سعادة روحية نفسية .

أما السعادة المادية الجسدية: فتتعلق بحب الشهوة والجمال والتملك بجميع أشكاله وهذه الأشياء برأيهم تحقق السعادة الدنيوية فقط .

وأما السعادة الروحية النفسية: فهي تتحقق بحب العلم والتدين والذكاء وحسن الأخلاق وهذه السعادة تؤدي إلى كسب الآخرة .

وعندما تحول إخوان الصفا إلى الأخلاق والنفس وما هو منسوب إلى النفس النباتية الشهوانية وما هو منسوب إلى النفس الحيوانية الغضبية ومنها ما هو منسوب إلى النفس الإنسانية الناطقة وما هو منسوب إلى النفس العاقلة الحكيمة ومنها ما هو منسوب إلى

---

(58) عادل العوا – حقيقة إخوان الصفا (الأهلى للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق – ١٩٩٣) ص ٢٠٨

(59) اخوان الصفا – الرسالة ٩ ص ٤٩

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النفس الناموسية الحكيمة " وقد تدرج إخوان الصفا من هذه الفصول إلى نظرية كون العالم إنساناً كبيراً وكون الإنسان عالماً صغيراً وهي النظرية التي قال بها بعض فلاسفة اليونان"[٦٠].

بمعنى أن العالم بما فيه من السماوات والأرض وما بينهما من الخلائق أجمعين يرونه جسماً واحداً بجميع أفلاكه وأطباق سماواته وأركان أمهاته وموالداتها ويرون أن له أيضاً نفساً واحدة سارية قواها في جميع أجزاء جسمها كسريان نفس الإنسان الواحد في جميع أجزاء جسده.

ورغم المثالية التي يتصف بها فكر إخوان الصفا إلا أن ثمة صفات أخرى تتسم بها الأخلاق في اعتقادهم ومن أهمها النسبية والتغير. فالأخلاق عندهم نسبية من حيث إنها متغيرة تختلف باختلاف طبقات المجتمع وحسب اختلاف الناس الفكرية والعقائدية وأيضاً وفق اختلاف وظائفهم ومستوياتهم الاجتماعية كما إنهم يجعلون للعقل المكان الأول في اكتساب الأخلاق.

درجات السعادة عند إخوان الصفا:-

قسّم إخوان الصفا السعادة في الدنيا والآخرة إلى أربعة درجات:-

(١)سعداء في الدنيا والآخرة .

(٢)أشقياء في الدنيا والآخرة .

(٣)أشقياء في الدنيا سعداء في الآخرة .

(٤)سعداء في الدنيا وأشقياء في الآخرة .

(١) فأما السعداء في الدنيا والآخرة جميعاً فهم الذين وفر حظهم في الدنيا من المال والمتاع والصحة ومكنوا فيها فاقتصروا منها على البلغة ورضوا بالقليل وقنعوا به وقدموا الفضل إلى الآخرة ذخيرة لأنفسهم[٦١]

قال تعالى "وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله"

سورة المزمل – آية ٢٠

قال تعالى "ووجدوا ما عملوا حاضراً"

سورة الكهف – آية ٤٩

---

(60) محمد لطفي جمعة – تاريخ فلاسفة الإسلام (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة –القاهرة – ٢٠١٤) ص٢٥٦

(61) إخوان الصفا - مصدر سابق – ص ٦٢

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٢) أما السعداء أبناء الدنيا وأشقياء أبناء الآخرة "فهم الذين وفر حظهم من متاعها ومكنوا فيها وارتقوا فيها فتمتعوا وتلذذوا وتفاخروا وتكاثروا ولم يتعظوْ بزواجر الناموس ولم ينقادوْ له ولم يأتمروْ لإمره وتعدوا حدوده وتجاوزوا المقدار وطغوا وبغوا وأسرفوا "[٦٢]

قال تعالى "**والله لا يحب المسرفين** " سورة الأعراف – آية ٣١

وهم الذين أشار إليهم بقوله تعالى جل ثناؤه

" **أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها** " سورة ص – آية ١٨٦

وقال تعالى "**من كان يريد حرث الحياة الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب**" سورة الشورى – آية ٢٠

(٣)أما أشقياء الدنيا وسعداء الآخرة "فهم الذين طالت أعمارهم فيها وكثرت مصائبهم في تصاريف أيامها واشتدت عنايتهم في طلبها وفنيت أبدانهم في خدمة أهلها وكثرت همومهم من أجلها ولم يحظوا بشيء من نعيمها ولذاتها وائتمروا بأوامر الناموس ولم يتعدوا حدودة "[٦٣].

وقد ذكر الله عز وجل ذلك فى آيات كثيرة منها

قال تعالى " **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**"

سورة الزمر – آية ١٠

(٤) وأما أشقياء الدنيا والآخرة "فهم الذين نحسوا حظهم من الدنيا ولم يمكنوْ منها وشقوا في طلبها فعاشوا فيها طول أعمارهم بأبدان متعوبة ونفوس مهمومة ولم ينالوْ خيراً ثم لم يأتمروا بأوامر الناموس ولم ينقادوا لأحكامه وتجاوزوا حدوده ولم يتعظوْ بزواطوة ولم يعلموْ في عمارة بنيانه ولا في حفظ أركانه فهم الذين خسروا الدنيا والآخرة جميعاً ذلك هو الخسران المبين"[٦٤]

وقد ربط إخوان الصفا بين السعادة وتأثير الكواكب على الإنسان فقالوا "إن كوكبي المشترى والزهرة يعبران عن حال السعديين فإن أحدهما دليل على سعادة أبناء الدنيا وهي الزهرة وذلك أنها إذا استدلت على المواليد دلت لهم على نعيم الدنيا من الأكل والشرب والنكاح والميلاد ومن كانت هذه حالة في الدنيا

(62) إخوان الصفا – مصدر سابق – ص ٦٢
(63) إخوان الصفا – مصدر سابق – ص ٦٢
(64) إخوان الصفا – مصدر سابق – ص٦٣

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهو من السعداء فيها وأما المشترى فهو دليل على سعادة أبناء الآخرة وذلك إذا استوى على المواليد دل لهم على صلاح الأخلاق وصحة الدين وصدق الورع ومحض التقى ومن كانت هذه حالة في الدنيا فهو من السعداء في الآخرة"[٦٥].

وبذلك أفسح إخوان الصفا مكاناً للقول بتأثير ما تقرره (أحكام النجوم) عندما يكون الإنسان جنيناً في بطن أمه "وذلك لأن حياة الإنسان منذ الولادة تفعل فعلها في اكتساب ما هو محمود أو مذموم" [٦٦]

ويذكرون في موضع آخر أنه "إذا اتفق للفلك شكل محمود من سعادة أحوال الكواكب في وقت من أوقات الأزمان ويولد في ذلك الوقت عدة مواليد من أجناس الحيوانات ومواليد الناس ولكن يكون بعضهم من أولاد الملوك والرؤساء وبعضهم من أولاد التجار والدها قين وأرباب النعم وبعضهم من أولاد الفقراء والمساكين والمكدّين فلا يكون قبولهم لسعادة الفلك على سنن واحد بل كل واحد منهم بحسب مرتبته , وذلك أن أولاد المكدّين إذا حسنت أحوالهم من السعادة فهو أن يبلغوا مرتبة أولاد التجار أرباب النعم وأوساط الناس وإذا حسن أولاد التجار فهو أن يبلغوا مرتبة أولاد الملوك وأولاد الملوك إذا قبلوا سعادة الفلك ارتقوا وبلغوا سرير الملك والسلطان " [٦٧]

لقد تأثر إخوان الصفا في هذه الفكرة بارتباط السعادة بتأثيرات الكواكب بالمدرسة الأبيقورية لأنها كانت تؤمن بهذه الفكرة وسار إخوان الصفا على منهجهم فيها .

(ب) ماهية اللذة وصلتها بالسعادة عند إخوان الصفا :-

يرى إخوان الصفا أن قوانين الأخلاق كلها تدور حول حب البقاء وكراهية الفناء ولهذا قسّموا اللذات إلى:-

(١) **شهوانية طبيعية**: تجدها النفس عند تناول الغذاء من الطعام والشراب وهي مشتركة مع الإنسان والحيوان والنبات .

(٢) **حيوانية حسية** :- وهي نوعان

(أ) ما تجدها النفس عند الوقاع الجنسي.

---

(65) نفس مصدر سابق – ص ٤٨

(66) جبور عبد النور - إخوان الصفا (دار المعارف - القاهرة – ١٩٧٠) ص ٤٩

(67) إخوان الصفا – مصدر سابق –ص ٥٢

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(ب) ما تجدها النفس عند الانتقام (وهى مشتركة بين الإنسان والحيوان فقط).

(٣)**إنسانية فكرية**: وهي ما تجدها النفس من اللذة عند تصورها معاني المعلومات ومعرفتها بحقائق الأشياء (وهي مشتركة بين الإنسان والملائكة فقط).

(٤) **روحانية ملكية**: وهي ما تجده النفس من الراحة واللذة بعد مفارقتها الجسد, وهي النفس المطمئنة (وهى مختصة بالنفوس المفارقة للأجسام الناجية من بحر الهيولي أي المادة)[68]

كما قدّم إخوان الصفا تصنيفاً آخر للذة والألم حيث صنفوا اللذة إلى:-

(١) اللذة المادية (٢)اللذة المعنوية

وصنفوا الألم إلى :-

(١) ألم المادي (٢) ألم المعنوي

واللذة المادية: فهي الراحة التي تحس بها النفس عند زوال الآلام ويجدها الإنسان على سبعة أنواع:-

(١)المدركات بطريق النظر من الألوان والأشكال والمناظر الطبيعية الصناعية.
(٢)المدركات بطريق السمع من الأصوات والألحان والمديح وما شاكلها.
(٣)المدركات بطريق الذوق من الأطعمة الموافقة لرغباته.
(٤)الملموسات المقوية لأخرط الجسد.
(٥)المشمومات الملائمة لمزاج الجسد .
(٦)لذة الجماع.
(٧)لذة الانتقام.

وهكذا حكم الآلام فالإنسان إذا رأى منظراً كريهاً أو سمع صوتاً منكراً فإن ذلك يؤلمه بالنسبة للأنواع الأخرى[69]

وأما اللذة المعنوية التي تجدها النفس بمجردها دون توسط الجسد فهي خمسة أنواع:

(١)ما تجده النفس عند تصورها حقائق الموجودات الطبيعية .

---

(68) اخوان الصفا - نفس المصدر – الرسالة ٣ - ص ٦٨
(69) اخوان الصفا - نفس المصدر – ص ٦٩

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٢)ما تجده النفس عند اعتقادها الآراء الصحيحة .
(٣)ما تجده النفس عند عزوبة أخلاقها الكريمة وعاداتها الجميلة .
(٤)ما تجده النفس عند ذكر أعمالها الذكية وأفعالها الخيرة .
(٥)ما تجده النفس من فرح في الحلم[70]

ويرى إخوان الصفا أن الإنسان "هو في مرتبة وسطى بين الملائكة والشياطين فهو ملاك وشيطان بالقوة فهو إما أن يكون بعد تهذيب نفسه واقفاً في صفوف الملائكة أو يكون بعد سيطرة نفسه الشهوانية والحيوانية عليه واقفاً في صف الشياطين"[٧١]

ولهذا يرى إخوان الصفا "إن اللذة وإن كانت ظاهرة نفسية أو أمراً وجدانياً إلا أنها لا تبقى محصورة في دائرة المحسوسات بل هي تترقى بترقي النفوس , فوجدانيات النفوس أنواع مختلفة بعضها عن بعض تبعاً لاختلاف مراتب النفوس" [٧٢]

وأن اللذة تعتبر قوة دافعة أو باعثة وهي ليست غاية , فهم يقولون إن الإحساس بالألم يدعو إلى حفظ الأجساد من الآفات العارضة لها وتحث اللذة على طلب جر المنفعة أو دفع المضرة وأما الغاية فهي السعادة ومن هنا ترتبط اللذة بالسعادة.

(70) اخوان الصفا - نفس المصدر – ص ٦٩
(71) فؤاد معصوم – مرجع سابق- ص ٢٥٩
(72) نفس المرجع السابق – ص ٢٦٠

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخاتمة:-

يمكن إجمال أهم نتائج البحث في النقاط التالية:-

١- تعد نظرية «السعادة» نظرية أخلاقية في أساسها، وقد شغلت مفكري الأخلاق قديماً، وما زالت تشكل محوراً أساسياً في الفكر الأخلاقي حتى يومنا هذا، وهي تمثل الغاية التي ينشدها الإنسان من وراء سلوكه، ولهذا جرت العادة على تناول موضوع «السعادة» في إطار فلسفة الأخلاق؛ ولكن الواقع أن هذا الموضوع أوسع بكثير من أن يكون مجرد موضوع من موضوعات فلسفة الأخلاق، فهو لا يقتصر على الميادين الفكرية والفلسفية، والأديان، والسياسة، بل إنه يدخل في قلب حياة الإنسان كذات واعية وعاقلة. وهذا الإطار يتعدى بكثير حدود فلسفة الأخلاق. وبعبارة أخرى فإن تحقيق «السعادة» موضوع يهم كل إنسان من حيث هو إنسان، ولا يهم الفيلسوف أو المفكر فقط.

٢- دأب الفلاسفة على التنظير لمفهوم السعادة، انطلاقاً من تشبعهم الفكري والمعرفي الذي استمدوه من بيئتهم الثقافية.إلا أنه ورغم الاختلاف الحاصل في تعريفهم لذات المفهوم، فثمة إجماع على أن السعادة مرتبطة بالبعدين الذاتي والموضوعي المتمثل في إدراج السعادة ويخلص أبيقور إلى أن اللذة هي مبدأ وغاية الحياة السعيدة، وأن إشباع اللذات وتجنب الآلام يجعلنا سعداء، لكن هذا لا يعني أن كل اللذات تحقق لنا السعادة، بل اللذات الطبيعية والضرورية فحسب، لا اللذات التي يمكن أن يعقبها ألم. بل إن هناك من الآلام ما يكون وراء الصبر عليها خير عظيم لأن السعادة تتجاوز إشباع الرغبات الجسدية ولهذا لا يقدم أبيقور في مذهبه هدفاً علمياً ولا يدعي الفضول الفكري لكنه يحاول أن ينزع من فكر الإنسان الأوهام والقلق ليدخله باب السعادة، فأكثر ما يقلق الإنسان أمران هما الخوف من الموت والخوف من الآلهة. ولقد استطاع أبيقور أن يقنع الآخرين برأيه في التخلص منهما، أما مذهبه في اللذة فينطوي على قدر كبير من الأصالة التي كانت سبباً مباشراً في إقبال أعداد كبيرة من محبيه من كل مكان في العالم للاسترشاد بمنهجه الأخلاقي.

٣- إن السعادة التي نادت بها الرواقية هي أشبه بالسعادة الداخلية المعزولة كلياً عن كل الظروف الخارجية. ولهذا ربط الرواقيون بين سعادة الشعور الذاتي وبين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إحساس الإنسان الشخصي بما يعيشه ويواجهه في الحياة , وهي لديهم ليست فردية ولا يمكن لها أن تكون كذلك بل هي جماعية , وفلسفة الرواقية تؤكد على إن كل شيء في الطبيعة يقع في العقل الكلي ويقبل أفاعيل القدر طوعاً. وإن الغاية هي الحياة وفق الطبيعة أي الحياة وفقاً للفضيلة لأن الطبيعة ترشدنا إلى هذه الفضيلة وإنه يجب أن نحقق السعادة في هذا العالم المادي الذي نعيش فيه.

٤-تأثر إخوان الصفا بالفلسفة الفارسية والهندية واليونانية ، وكانوا يأخذون من كل مذهب بطرف، كما اثّروا في سائر الفلسفات المعاصرة واللاآحقة على صعيد العالم الإسلامي بأسره وخصوصاً في مجال الفكر الأخلاقي, وغدا مبحث السعادة في الفلسفة العربية الإسلامية، موضوعاً قائماً بذاته، يُعيد التفكير في موضوعات الفلسفة الرواقية والأبيقورية في ضوء الموروث الإسلامي في بعده النقلي و العقلي. فقد وجد "إخوان الصفا" مادة دسمة في الفكر الرواقي والأبيقوري وراحوا يصوغونها في لغة عربية مُجدِّدة، ويسعون للتأصيل لها في المقولات الذهنية الإسلامية بتعدد مراجعها ومصادرها الفكرية. وأصبحت السعادة عند إخوان الصفا هي الخير الحقيقي للإنسان، وهي الغاية القصوى التي يسعى إليها كل إنسان من وراء علمه أو عمله، وهي الغاية المطلقة، وليست وسيلة لتحقيق غاية أخرى , فالسعادة هي أفضل ما سعى الإنسان في حياته لتحصيله؛ لأنها الخير الحقيقي له.

قائمة المصادر والمراجع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولاً : المصادر العربية :

١- الإمام الهمام قطب الأقطاب مولانا احمد بن عبد الله- رسائل أخوان الصفا وخلان ألوفا – (طبع على ذمة الحاج الشيخ نور الدين بن المرحوم جيواخان الكتبى ببلدة بمبىء مطبعة نخبة الإخبار – محلة بهيندى بازار – ١٣٠٦ ه) .

٢- ابيقور رسالة الى منيس - الرسائل والحكم ترجمة الى العربيــة جــلال الــدين السعيد (الدار العربية للكتاب - القاهرة -١٩٩٠)

٣- برتراند رسل - تاريخ الفلسفة الغربية (الكتــاب الأول الفلــسفة القديمــة) - ترجمة زكي نجيب محمود - مراجعة أحمد أمين (الهيئة المصرية العامــة للكتاب - القاهرة - ٢٠١٠)

ثانياً - المراجع العربية.

(١) أحمد محمود صبحي – الفلسفة الأخلاقيــة فــي الفكــر الاســلامى (العقليــون – والزوقيون أو النظر والعمل (دار المعارف – القاهرة – ١٩٨٣) .

(٢) توفيق الطويل - مذهب المنفعة العامة في فلــسفة الأخــلاق (مكتبــة النهــضة المصرية – القاهرة - ٢٠٠٤) .

(٣) الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها (دار النهضة المصرية - القاهرة -١٩٧٦) .

(٤) جبور عبد النور - إخوان الصفا (دار المعارف - القاهرة – ١٩٧٠)

(٥) حربي عباس عطيتو - اتجاهات التفكير الفلــسفي عنــد اليونــان (٢) العــصر الهللينستي (مطبعة أورينتال – الإسكندرية - ٢٠٠٧)

(٦) زكريا إبراهيم - المشكلة الأخلاقية (مكتبة مصر - القاهرة -١٩٦٦)

(٧) عادل العوا – حقيقة إخوان الصفا (الاهلى للطباعة والنشر والتوزيع – دمــشق – ١٩٩٣)

(٨) عثمان أمين – الفلسفة الرواقية (مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة -١٩٧١)

(٩) عبد الرحمن بدوى – خريف الفكر اليوناني (مكتبة النهضة المصرية – القــاهرة - ١٩٧٩)

(١٠) تاريخ الفلسفة في ليبيا – الجــزء الأول (كرنيــادس القورينــائى) (دار صــادر – بيروت – ١٩٦٩)

(١١) ماجد فخري – تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلوطين وبرقلس (دار العلم للملايين – بيروت – ١٩٩١)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(١٢) محمد لطفي جمعة – تاريخ فلاسفة الإسلام (مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة – القاهرة – ٢٠١٤)
(١٣) محمود إسماعيل – أخوان الصفا –رواد التنوير في الفكر العربي (عامر للطباعة والنشر – المنصورة -١٩٦٩)
(١٤) محمد العريبى – المناهج والمذاهب الفكرية والعلوم عند العرب (دار الفكر اللبناني – بيروت -١٩٩٤)
(١٥) مجدي كيلاني - المدارس الفلسفية المتأخرة (المركز الاستشاري المصري للتدريب ونشر البحوث العلمية - الإسكندرية - ٢٠٠٦)
(١٦) محمد الخطيب، الفكر الإغريقي (منشورات دار علاء الدين - دمشق - ١٩٩٩)
(١٧) محمد علي أبو ريان - تاريخ الفكر الفلسفي ج٢ أرسطو المدارس المتأخرة (دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية - ١٩٩٧)
(١٨) محمد يوسف مرسى – تاريخ الأخلاق (دار الكتاب العربي ط٢ – القاهرة – ١٩٥٣)
(١٩) فؤاد معصوم - إخوان الصفا فلسفتهم وغايتهم (دار المدي- سوريا- ٢٠٠٢)

ثالثا: المراجع المترجمة إلى العربية:

(١) بيار بويانشى _ أبيقورس _ سلسلة أعلام الفكر العالمي ، ترجمة د/ بشارة صارجي (المؤسسة العربية للدراسات والنشر _ ط١ بيروت _١٩٨٠)
(٢) ديوجين اللاۤرسى – حياة مشاهير الفلاسفة – المجلد الثاني – ترجمة أمام عبد الفتاح إمام (المركز القومي للترجمة ج٢– القاهرة – ٢٠٠٨)

رابعًا : المعاجم والموسوعات الفلسفية العربية والمجلات

(١) إبراهيم منصور وآخرون - المعجم الوسيط (مكتبة الشروق الدولية -القاهرة - ٢٠٠٤) .
(٢) ابن منظور الأفريقي المصري (العلامة أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) لسان العرب (دار صادر – بيروت – ١٩٩٥)
(٣) جميل صليبا - المعجم الفلسفي المجلد الاول (دار الكتاب اللبناني - بيروت- ١٩٩٢).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٤) الموسوعة الفلسفية المختصرة – نقلها عن الانجليزية فؤاد كامل - جلال العشري -عبد الرشيد الصادق- راجعها واشرف عليها وأضاف إليها شخصيات اسلامية د/ زكي نجيب محمود (دار القلم - بيروت - د.ت)

(٥) المعجم الفلسفي- المجمع الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية تصدير د/ إبراهيم بيومي مدكور (الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - القاهرة - ١٩٧٩).

خامسًا : المراجع الأجنبية :-

1- A. .s Begomolor .history of ancient philosophy Greecard Rome_ proress publishers Moscow _1985

2- Brad In wood- Ethics and Human Action in early stoicism (clarendon press- u.s.a – 2004)

3- Edelstein .l. The meaning of stoicisms (Harvard press _U.S.A- 1966)

4- F.H.Sandbach،The stoics .hokett publishing company – u.s.a- zenedition -1989)

5 - H. Baker . The Image of man(،hanaper torch books- New York- 1961)

6- J.M.W.Turnar،The Epicureans) john Macrone press- London – 1839)

7- James warren، The Cambridge to companion Epicureanism (Cambridge university press- London -2009)

8- J.M.Rist – Epicurus An Introduction (Cambridge University press- 1977)

9- Ludwig Edelstein – The meaning of Stoicism(Harvard university press – london- 1966)

10- Miriam Griffin & Alison Samuels- Studies in stoicism (oxford university press- united kingdom – 2013)

11- Neven Leddy & Avislifschitz – Epicurus in the Enlightenment (Voltaire foundation –Oxford London- 2009)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

12- Norman Went & Worth Dewitt- Epicurus his philosophy (university of Minnesota press –london – 1964)
13- Steven.k.Strange- stoicism traditions and trans formations (Cambridge university press- London – 2004)
14- Timokeefe – Epicureanism (Routledge published- New York – 2010)
15- W. Kafue man . philosophic classics . vol. v (prentice holl u.s.a 1961)
16- William B. Irvine –A guide to the Good life : the Ancient Art of Stoic joy (Oxford university press – U.S.A- 2009)
17- W. widleband. history of ancient philosophy (Cambridge university press – New York -1956)
18- Zeller. E the Stoics, Epicureans skeptics – trans . by Oswald . j. Reichel (Oxford university press- New York- 1980)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com